بناء الأحداث في رواية الرجل العاشر لغريم غرين

Structuring of the Event in Grim Green's Novel '' The Tenth Man''

م.د. جابر حسن هرم
Asst. Prof. Jabir Hasan Harim
جامعة تكريت/كلية التربية الأساسية –الشرقاط
University of Tikrit / College of Basic Education/Shirqat.
E-mail: Jabir.hassan@tu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: بناء الحدث، رواية، الرجل العاشر.

Keywords: Event Building, Novel, The X–Man.

الملخص

قام البحث على دراسة بناء الاحداث في رواية الرجل العاشر للقاص والروائي الإنكليزي (غريم غرين) الذي انمازت نتاجاته بالتنوع في الأساليب، والجدة في الموضوعات، إضافة إلى طرائق العرض السردية المثيرة والملفتة للمتلقي، والمدخل هو عتبة الولوج إلى البحث الذي احتضن في متنه أولًا معنى البناء والحدث لغةً واصطلاحاً ثم تقديم موجز لحياة غريم غرين وأهم مفاصلها مع ذكر لبعض نتاجاته الادبية القيمة، ثم توزع البحث على اربعة محاور، ففي الاول منها تناولنا القسم الخاص ببناء الاحداث المتسلسلة أو المتتابعة، والتي تعني ان طريقة سرد الاحداث تبدأ من نقطة مركزية معينة، متدرجة بالترتيب منطقياً إلى حين بلوغها نقطة النهاية أو الحل، فيما احتملت ارض المحور للثاني على طريقة بناء الاحداث المتداخلة، والتي مفادها أن الاحداث تتقاطع وتتشابك بعيداً عن الانضباط المنطقي والعقلي المتشدد، وغير مكترثة بتوالي الزمن وتناميه مع الحدث الواحد بينما يتمركز الاهتمام وينصب على كيفية وقوعها، أمَا البناء الدائري للحدث فكان من نصيب المحور للثالث وللذي يدلنا على أن الأحداث فيه تنطلق من نقطة معلومة معينة ثم تنمو وتتطور لكنها تقفل راجعة، خاتمة مسارها إلى ذات المرحلة الاولى إذ كلنت بدايتها، في حين كان المحور الرابع من حصة بناء الاحداث المتضمنة، ومفاده يعني أن تتخلل قصص متعددة وتندرج في قصة واحدة ؛ فتكون هذه القصة بمثابة الأم أو البيت (التي / الذي)، (تحتضن/يحتوي او يشتمل)على القصص الفرعية جميعها من دون الاخلال بنظام البناء العام للحدث الرئيس(المركزي) فيها .

Abstract

The study is based on a study of the structuring of the event in the novel "the tenth man" by the English novelist Grim Green. The study has begun with the introduction that presented the meaning of structure and event in language and terminology , then it has presented a summary of Grim Greene's life and its most important periods, with a mention of some of his literary productions. Then it was divided into four sections, the first one has included the first type of structuring of events, which is the consecutive structuring, that means the narration of events follows from a specific point all the way to the end in order. As for the second section, it has included the second type of structuring of events, which is the overlapping structuring, which means the intersection of events in it without any strict mental and logical controls, and without paying attention to their chronological sequence, but rather the attention is focused on their occurrence, As for the third section, it was for the circular structuring of the event, in which the events start from a point and then return in the end to the same point from which they first started. While the fourth section was to display the structure that includes events, which means inserting a story into another story, as the origin story is a framework that contains or includes sub-stories within the origin story. After presenting these sections, we have concluded at the most important results of the research, which resulted in the presentation of all types of oevents structures that were abstracted from the text of the novel under study.

مدخل

البناء في اللغة والاصطلاح:

يكشـــف لنا مفهوم البناء عن شـــبكة مختلفة من المســـتويات في العلاقات القائمة بين الأجزاء النصـــية في نهاية تكوينها؛ لانفتاحه على جملة من الوحدات المفهومية المتشـــابكة، والتي تظهر بشـــكل شـــديد للتداخل والتقاطع، او مفككة متخلخلة في دلخل النظام التركيبي للنص(الادبي) في بعض الاحيان؛ فبالرغم من كثرة وكثافة الاشـــتغال عليه، فما زال مفهوماً عائماً، إذ اختلف المنظرون والنقاد في فهمه وتفسيره بشكل واضح جليَ قطعيَ.

فقد جاءت هذه الكلمة في اللغة لتدل على " البناء المبنيُ، والجمع ابنية، وابنيات جمع الجمع،...إنه أصـــل البناء فيما لا يُمنى كالحجر والطين ونحوه،...والبنَاءُ :مدبرُ البنيان وصـانعهُ،...والبِنيةُ، والبُنيةُ ما بنيتهُ، وهو البِنى، والبُنى جمع بنية "[١] وجميعها من المصـدر؛ وهو الذي يؤول قيام التشـابه الظاهر بين كل من بناء العمل الفني(جنس ادبي/واقعي أو متخيل) دلالياً /جمالياً...،وبناء البيت (مادي ملموس) معاش فيه ؛ لحاجة كل واحد منهما إلى أن يرسو على اساس وسند في خطوات متزنة في سبيل الوصول إلى شكل متماسك واضح الصورة والمعالم، وبضده " الحطام المتلاشي المتناثر إلى اصوله "[٢] الذي لا قوة لقيمته منفرداً إلا إذا اجتمعت هذه الاشياء مشكلة نسيجاً متشعباً من الأواصر المنسابة فيما بينها لتعطي للعمل الفني حجمه ومغزاه، وفقاً للمعايير التي يُقاس بها من بداية التكوين، وصـولاً إلى شكله النهائي الذي يُعرف به(الجنس الادبي) فيأخذ مكانه الذي يليق به حاملاً اسمه الذي جعله شاخصاً بذاته، كما يحصل ذلك عند لملمة شتات الاشياء التي يصبح بعدها البناء بناءً مجاوراً لما حوله من اجناس متطابقاً معها أو متشـابهاً من حيث سـلسـلة التكوين والنمو، كصـفة مشـتركة لأصـل وجود الاشياء.

إن الاصطلاح الذي يحمله معنى البناء يرد للدلالة على الالية التي يتم بوساطتها إنشاء وتكوين وخلق مجمل الاواصـــر والعلاقات الضـــرورية واللازمة بين الاحداث(الصـــغيرة السـعة/الكبيرة) الواحدة تلو الاخرى، بعضـها مع بعض؛ لتجتمع مشـكلة في مجموعها نمطاً منســـقاً متراصـــاً، فيظهر بعدها عادة غلبة حكم جزء من الأجزاء دون غيره من الأجزاء الاخرى لإضـفاء الهيمنة المتلاحقة والمتلاحمة، عن طريق ايجاد تلك العلاقات"[٣]، وقد تختلف هذه الابنية تبعاً لاختلاف موضـــوعاتها التي تكونت لأجلها،فالبناء ليس قالباً جلمداً لا يمكن خرقة أو هدمه ؛ لأن النص الادبي لا يمكن أن يسند إلى قوالب وقواعد مقدسة ثابتة وإنما إلى العمل الادبي نفسه، فشبكة القوانين التي تجمع وتوحد مقومات العمل الادبي مع بعضها مكونة نظاماً مشـــتركاً واصـــلاً بين اركان النص"[٤] الاخرى، مما يتيح لتلك العناصـــر الفنية جميعاً

المجال الكافي بأن تقوم بتأدية الادوار المناطة بها، وأن تمارس سلطتها الوظيفية في العملية البنائية بالشكل المطلوب منها على اتم وجه ؛ عندما تتآزر معاً من أجل تحقيق البنى المتماسكة لعلمة العمل الروائي " [٥]، ؛لذلك يطلق على مجموعة القوانين الضابطة لمكونات ونظام وسلوك النص ومكوناته ب(البناء)،والتي يمكن لها أن تتبادل الادوار فتقوم الواحدة منها بمكان للثانية أو العكس [٦] فعن طريق التنافس المحتدم القائم والمتغلغل بين مجمل مقومات العمل الفني، يظهر الاختلاف والتناحر ليسود ركن ويتأخر الثاني، فيظهر البناء عن طريق الوسائل الملتصقة معها نصياً، إذ إن العمل الادبي في نهاية المطاف ما هو الا الحصيلة النهائية ل (عمليات التفاعل والتحاور والتجاذب والالتئام والانفصام والتقدم والتأخر والظهور والضمور والارتفاع والانخفاض والشدة واللين...) لمجمل مكونات جسد النص، والتي غالباً ما تكوَن عن طريقه(التفاعل)مسارها الملائم والمصاحب لها باستمرار.

إن كلمة (حدث) جاءت في المعاجم العربية متكونة من " الحاء، والدال، والثاء، لأصل ولحد، وهو كون شيء لم يكن، فيقال : حدث أمر بعد أن لم يكن، والرجل الحدث : الطري السن، والحديث من هذا ؛ لأنه :كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء، ورجل حدث : حسن الحديث " [٧] >< وَهْوَ الذي يؤيد قدرة الانشاء و التكوين من العدمِ أو من اللاشيء إلى حقيقة موجودة [٨]... لتكون أول انتقال مِنَ المرحله السابقة إلى الثانية، أي من العدم إلى الوجود والكينونة ومن السبات إلى الظهور،،والتحرك والتطور، والتغير.

إن الأساس الذي يتمركز عليه العمل الفني ويقوم(قصة، رواية، مسرحية،...)، ويشكل الثيمة الموضوعية له، ويعد أحد الضروريات الكتابية، وخامة الحراك فيه، والتي تنتج من خلال اختلاف الاساليب والرؤى والتقانات التي تمهد وتشرعن عملية(الحكي /القص) فيه (العمل)؛ لتترجم عقب حراك وأفعال الشخصيات المتسلسل على مدار الوقت الذي يشكل الفضاء (الزمكاني) إطاراً ووعاءً حاوياً لها(الاحداث) ،بعد الاعتناء بالآلية التي تتم بوساطتها عملية تقديم ونسج صور الشخصيات اثناء تأدية ادوارها على حلبة المتن النصي؛ فتتوثق مصداقية (وجودها /وقوعها)مع ذكر السبب الموجب والمؤدي إلى قيامه/ قيامها(الحدث/الاحداث)، والتي تشحذ من المؤلف عناية مركزة بالفعل والفاعل، أو العكس، إذ أن هذا الحدث الذي يتشكل وينتج ما هو إلا خلاصة هذين الشيئين [٩]، الذي(الحدث) نتمكن تتبعه بعد مجمل التفاعلات للذهنية المستصحبة حتماً كلاً من (الزمان، المكان و الشخصية)،فينكشف ويظهر المعنى الاصطلاحي للحدث بعدها،والذي ما هو الا دورة كاملة وشاملة لجزئيتي المنطق الافتراضي (سبب = نتيجة) إذ إنه :(الحدث) يتشكل ويتكون بفضل العوامل الداخلية التي تمكن المتلقي رصده في إطار وشائج علاقاته المتبادلة بين كل من

الزمن، والمكان، والشـخصـية [١٠]، مفضـية بعد تشـكلها التدريجي (الاحداث) إلى ولادة اللذة العارمة وهيمنة النشوة الفنية على سلطة المتلقي تأويلياً .

إن انصـهار "متتالية من العناصـر التي تتداخل فيما بينها إلى حين اسـتواءها وتحولها إلى كيان روائي قائم بذلته بالرغم من تفاوت أهمية مكونات هذه المتتالية، بل إنها تعد العمود الفقري لأي (قصـــة /رولية) تنطوي نظام قوى في وقت من الاوقات فتجســـدها او تتلقلها الشـخيصـة لأن الحدث ما هو الا مؤثرات خارجية تؤدي إلى تغير شـيء معين داخل أو خلف حركة، أو هو تكوين الاشياء الجديدة في العمل الفني "[١١]منتجة الحدث، الذي تظهر أهميته في الاعمـال الادبيـة الفنيـة،عنـد تمييز آثـاره بـالوقـائع الثـابتـة التي تجري في ظرف فني (زمكان)محددين لتتبني العقدة القصـــصـــية التي تســـعى إلى بلوغ نهايتها بخاتمة الحدث (سـلباً/ايجاباً) وفي غضـون ذلك يكون للرأي أسـلوبه في إدارتها واضـعاً بصـمته المييزة لنمو الاحداث وتناميها، والتي تفرد العمل لصـاحبه بما يتلاءم ورغبة العقل الانسـاني والحالة التي يحياها .

موجز حياة غريم غرين[١٢]:

ولد غريم غرين أو سَـيد الادب الانكليزي العجوز كما يسـمى أحيلناً، في مدينة بيركهامستد في انكلترا عام ١٩٠٤، درس في جامعة اوكسفورد، وعمل محرراً وناقداً سينمائياً في جريدة التايمز اللندنية من (١٩٢٦ – ١٩٤٠) ومحرراً ادبياً في مجلة سبكتيتر من (١٩٤٠ – ١٩٤١).

لقد مُنِحَ غريم غرين العديد من الجوائز الادبية وشهادات الدكتوراه الفخرية في الادب، وقد كتب العديد من الروايات والقصـص والمسـرحيات، والكثير من المقالات الادبية والنقدية، فنال شهرة عالمية واسعة.

ارتحل غريم كثيراً واعتمد مشـــلهدلته والاماكن التي زارها وللناس للذين قابلهم مادة للعديد من رواياته، وقصصه، وله أسلوب شيق ومتميز في الكتابة ؛مما حدا بالشاعر الامريكي (اودن) أن ينحت كلمة (غريمغريني) للدلالة على اسلوبه المتميز المنفرد .

إن من اشـــهر اعمال غريم (القوة والمجد) و(صـــخرة برايتن) و(العميل الســـري) و(الامريكي الهادئ) و(جوهر القضية).

المحور الاول: البناء المتتابع للحدث.

هو توالي الاحداث وتتابعها وفق زمنها الملتصق بها والذي يستوجب بدايتها(الاحداث) وتناميها حتى النهاية من غير اتكاءٍ أو رجوع للزمن السابق والمنصرم[١٣] ؛ إنه البناء الخاص الذي قوامه ترتيب الاحداث وسردها وفقاً لوقوعها الصاعد على وتيرة متسلسلة زمنياً حتى ختامها[١٤]، فلا يسمح أبداً أن تسرد الجملة الثانية إلى حين حسم سرد الجملة السابقة لها، إذ يسمح عندها برصف ومجاورة الجمل بشكل متلاحق سلس إلى نهاية مقصودة [١٥]، بغية الالمام بالحدث واحاطته وإحكام توجيهه وفقاً لرؤي المؤلف إلى عمله الفني [١٦] .

ومن الأمثلة التي تم العثور عليها لهذا النوع من البناء ما جاء على لسان الراوي: " لم تكن لدى أكثرهم وسيلة يعرفون بها الوقت سوى مواعيد تقديم الطعام وهذه بدورها كانت غير دقيقة وغير منتظمة، كانوا يسلون أنفسهم خلال ساعات النهار بألعاب طفولية وعندما يحل الظلام ينامون بوداعة دون ان ينتظروا ساعة محددة من الليل، واما ما يتعلق بالوقت الصحيح فقد كان لكل سجين توقيته الخاص، عندما القي بهم في السجن كان الاثنان والثلاثون سجيناً يمتلكون ثلاث ساعات يدوية جيدة وساعة كبيرة ذات منبه، وكانت هذه الساعة قديمة، وحسب ادعاء اصحاب الساعات اليدوية – غير دقيقة، اختفت أولًا اثنتان من الساعات اليدوية : فقد استدعي صاحباها في الساعة السابعة – او السابعة وعشر دقائق حسب توقيت الساعة ذات المنبه –في صباح احد الايام وبعد ساعات من اليوم نفسه ظهرت الساعتان من جديد ولكن على معصمي اثنين من حراس السجن وما زالتا حتى الان، وهكذا لم تبق لديهم سوى ساعتين، الساعة ذات المنبه وتعود لسائق قطار اسمه بيير وساعة فضية كبيرة الحجم ذات سلسلة وتعود لمحافظ مدينة بورج "[١٧] فالحدث المتمحور حول عرض (الساعات/اصحابها) واتصالها بمركزية الحركة داخل زنزانة السجن وما له من دلالة فنية جمالية خطيرة على سلسلة الاحداث المتدرجة تنازلياً (من حيث الوقت)على حساب حياة النزلاء، إذ إن تنازل عدد الساعات(من ٤ إلى ٢) التي يمتلكها مجموعهم وعدم دقة الوقت الذي تشير إليه الساعتان المتبقيتان وكون الساعتان اللتان على(معصمي اثنين من حراس السجن)لاثنين من السجناء(الرهائن)الذين تم سحبهما خارج السجن واعدامهما نجده قد ورد على وتيرة الاحداث المتسلسلة التي ترتبط مع بعضها منطقياً (سبب = نتيجة/نتائج)، و(بداية – وسط –ذروة – نهلية/خاتمة)، ومن أمثلة بناء الاحداث المتتابعة ما نجده بقول الراوي : "كان يعلم جيداً من خلال خبرته القانونية الطويلة انه ليس هناك قضية لا تنطوي عل بصبص من امل، واخذ يحاجج نفسه: " بعد كل هدا ليس هناك من مسؤول عن موت جانفييه سوى جانفييه نفسه، ليس لي ذنب في الموضوع بغض النظر عن مشاعري، يجب ان الا ينجرف المرء وراء مشاعره

والا واجه المقصـــلة أناس أبرياء كثيرون واســـتمر يفكر : ليس هناك أي قانون يمنعه من ان يحبها لا ســـبب البته ســـوى حقدها الذي يحول دون حبها إياه، لو كان يســـتطيع ان يســـتبدل الكراهية بالحب لقدم لها بذلك خدمة تعوضـــها عن كل شـــيء، كان يفكر وكأنه يقرر مســـائل الخير والشـــر بطريقة رائعة، كان يعتقد بســـذاجة انه يمنحها إمكانية الخلاص، التقط حصـــاة ورماها باتجاه أحدا الكرنبات البعيدة فتدحرجت فأصـــابت هدفها أصـــابه دقيقة فتنهد تعبيراً عن الارتياح، لقد خفض التهمة الموجهة إلى نفســـه إلى جريمة مدنية يمكن تســـويتها عن طريق التعويض واصبح بوسعه الان ان يساوم عل شروط هدا التعويض، استغرب امر نفسه وتسائل عن الســـبب الذي دعاه إلى الشـــعور باليأس ليلة امس، ليس الوقت وقت يأس، بل انه مناســـب للأمل لقد وجد شـيئاً يعيش من اجله، ولكن بقيت هناك بعض الظلال في قاع تفكيره كأنها دليل تعمد عدم تقديمه إلى المحكمة "[١٨] من الواضـــح ان الحدث في هذا النص ينتمي إلى النوع المتتابع في الايقاع الزمني للذي يبدأ من نقطة ما، متصـــاعداً ومروراً إلى النقاط الاخرى إذ يســتعرض الراوي(شـارلوت) الاحداث التي وقعت قبل مدة زمنية طويلة بدءاً من وقت لقائه جانفييه الذي قبل ان يكون بديلاً عن شـــارلوت في الاعدام مقابل الثروة التي قدمها شـــارلوت لجانفييه؛ ثم يشعر(شارلوت) بتأنيب الضمير، بعد أن تم إعدام جانفييه؛ وكأنه مجرم قاتل (في الوقت الحاضر)و يجب تقديمه للقضاء وهو(شارلوت) من يضع التهم ثم الدفاع عن نفسه بنفسه امام نفســـه، ومن ثم اطلاق ســـراحه لعدم كفاية الادلة التي توصـــلت اليها المحكمة، وهنا عليه(شـــارلوت) ان يشـــعر بالتفاؤل والارتياح لانه في هذه القضـــية التي ثبتت فيها براءته، هو(الخصـم والحكم) و(الشـاهد والمتهم)إذ تسـير احداث عملية هذه المحاكمة بشـكل تدريجي متســـلســـل منذبداية للتأمل المحاكماتي إلى الحاضـــر الراهن (حرية شـــارلوت /نتيجة المحاكمة)الافتراضية.

ونجد الاحداث المتتابعة منطقياً بقول الراوي عن الضـــابط للذي حضـــر إلى الســـجن/الزنزلنة لتبليغ النزلاءبالقرار الجديد تجاههم : " دخل الزنزلنة ضـــابط شـــاب، .....، بدا محرجاً كأنه تلميذ يظهر أول مرة عل المسـرح لتسـلم جائزة، خاطب السـجناء بلهجة حادة وبكلمات متقطعة محاولاً الظهور بمظهر القوة خلافاً لحقيقته فقال: وقعت عدة حوادث قتل في المدينة في الليلة الماضية، فقد اغتيل مساعد الحاكم العسكري وعريف، إضافة إلى فتاة فرنسية كانت راكبة دراجة هوائية، لا يهمنا مقتل الفتاة الفرنسية فالفرنسيون مسموح لهم بان يقتلوا الفرنسيات، كان واضـحاً انه قد اعد خطبته هذه منذ فترة وبعد تفكير طويل فيما سـيقوله للسـجناء، ولكنه بالغ في التهكم كثيراً فبدا كأنه ممثل هاو فتحول المشـهد كله إلى لغز تمثيلي مزيف، استمر الضابط قائلاً : لاشك في أنكم تعرفون سبب وجودكم هنا، إنكم تعيشون

في راحةـتلمة وتتســـلمون ارزلقاً جيدة بينما رجللنا يعملون ويقاتلون، طيب عليكم الان ان تدفعوا قائمة الفندق، لا تلوموننا ولكن لوموا القتلة من أبناء جلدتكم، لقد أصدرت الأوامر بإعدام رجل واحد من بين كل عشــرة رجال في هدا المعتقل "[١٩]من الواضــح أن المحرار الذي اثار حركة الاحداث بتتابعٍ مدهش هوماـقلله الضـــابطـللذي نقل خبر قرار وجوب قتل ولحد لكل عشرة سجناء فتحسس بكلامه مناطق الاثارة والخطورة التي لم تكن بحساب الرهائن، فهو إذن المعلن للأحداث قبل وقوعها، بل انه (الضــابط) الحدث المتدرج بلطف منطقي، منذ قدومه إلى الزنزانة لتبليغ الرهائن بالواقع الآتي الذي لم يكن بالحسبان، فأثار صدمة وانهياراً لعقل ونفسية الرهائن لتتشكل مع قدوم الضابط هالة لحدث بدأ وعُرِضَ وانتهى(قولياً) وفق المرموز (مرسل <> رســالة <>مرســل الية<>نتيجة(حدث)–ســلبية/ ايجابية)، فبعد حدث التبليغ الذي اكتمل تدريجياً تتفتح منطقة القلق والتأزم، الاضــراب والســأم، الترقب والتوقع، المعايشــة والصــراع، الجذب والانشداد على مصراعيها .

المحور الثاني: البناء المتداخل للحدث

يسمى النسق الذي تُبنى بموجبه الاحداث دون قوانين وضوابط سببية منطقية متعارف عليها ولا مألوفة [٢٠]، ولا يكون التركيز منصــباً ومنشــغلاً بترتيب الاحداث وتسـلسـلها زمنياً؛ إنما توجه الامكانيات البنائية للإجلبة على (كيف وقعت الاحداث؟؟؟ لا لماذا وقعت الاحداث ؟؟؟) ؛إذ تتشـــابك وتختلط الاحداث ويُعدم تقادم الزمن وتواليه بانتظام وتتابع من بداية معلومة إلى ختام متوقع [٢١]، فتتابع الاحداثـنائية عن الترلتب الزمنيـللذي يتراءى متنقلاً مع الحدث وزمن وقوعه، فلا يكون الحدث الاخير نتيجة للذي قبله إنما يجاوره، وقد تســبق النتائج المســببات، فتكون العلاقات الســردية عندها بديلاً عن العلاقات الزمنية، فتتصــدع الازمنة وتتكسـر وتتهشـم لنحصـل على "الحدث لم يعد يُنظر إليه بشـكل تقليدي بعيداً الاطار الزماني والمكاني للشــخصــيات، إذ إن الطريقة الحديثة في البناء فرضــت على الراوي أن يعود إلى الوراء ؛ من اجل ان يزود المتلقي بمعلومات تخص (الشخصية / الشخصيات)، بل ربما يكون نسـج الحدث بهذا السـياق لشـدة تعبيره عن الانفعال والتفاعل مع الوقائع الجديدة بكل تناقضـاته "[٢٢]،فيتزعزع عندها ايقاع الشـــخصـــية ويتخلخل مع زعزعة وخلخلة ايقاع الازمنة، فتغدو الشخصية اكثر حرية وحركة، وايقاعاً متناغماً، فيجعلها تعيش تارةً في حاضر معين، ثُمَ ينقلها ايقاعها تارةً أُخرى، إلى حدث أو امرٍ وقع لها في الماضـــي، فتتفاعل معه وتنتقل بإيقاعٍ جديدٍ متأرجحٍ بين زمن الحاضـر المتجه إلى الأمام الذي قد يتخلله القطع ليعود ادراجه إلى الماضـي فيتأرجح فيه ثُم يعود إلى الحاضر ليأخذ مساراً خطياً متدفقاً إلى حاضر الاحداث متماشياً معها

صوب نهايتها، يقول الراوي : " مند ست وثلاثين ساعة لم يأكل شارلوت سوى قطعتا خبز، فجأة خطر بباله أنه قد عاد إلى نقطة البداية، أسند ظهره إلى أحد الجدران والشمس اوشكت ان تغيب وبدا له كأنه سمع صوت دقات ساعة المحافظ، شعر بعد كل هذا العناء والمسافات الطويلة التي قطعها كأنه عاد إلى الطريق الرمادي في السجن وظهره مسند إلى الحائط بانتظار اطلاق الرصاص عليه، تمنى لو انه مات غنياً ووفر عل نفسه والاخرين كل هذه المتاعب، واتجه نحو نهر السين، لم يعد يسمع دقات ساعة المحافظ ولكن كانت تتناهى إلى سمعه أصوات خطوات خافتة لقدمين يجرهما صاحبهما جراً على الأرض، كان الصوت يتبعه حيث ما ادار وجهه وكان يسمعه مثلما سمع صوت ساعة المحافظ، لم يكن متأكداً تماماً ان هذه الأصوات كانت مجرد أوهام من نسج خياله، كانت مياه النهر تتلألأ في نهاية الشارع الطويل، شعر بالارهاق واتكأ على جدار مبولة قريبة وانتظر فترة ورأسه مطأطأً لأن بريق مياه النهر كان يبهر عينيه واقترب منه صوت جر القدمين بخفة وتوقف خلفه، حسناً، لقد توقفت الساعة أيضاً، رفض أن يصدق الأوهام، سمع صوتاً يناديه : بيدو، بيدو، نظر حواليه بحدة، لكنه لم يجد شخصاً، تكرر الصوت: إنك بيدو، أليس كذلك ؟

فسأله شارلوت: أين أنت؟

هنا، ... مرت لحظة صمت وجاءه الصوت مرة اخرى كأنه صوت الضمير يهمس في اذنيه: تبدو في وضع تعيس وكأنك وصلت النهاية؟؟؟، لم اتعرّف إليك الا بصعوبة، أخبرني هل هناك احد قادم ؟؟؟

فأجابه شارلوت : كلا، لوكان مايزال طفلاً في الريف وفي غلبات بريناك لظن ان الزهور يمكن ان تتكلم او ان الأصوات تخرج من جذور الأشجار ولكن عندما يكون الانسان في المدينة وعندما يكون قد بلغ سن الموت فمن الصعب عليه ان يصدق ان احجار الرصيف يمكن ان تتكلم "[٢٣]تظهر جلية آلية تداخل الاحداث بشكل متموج شديد الارتطام بصخور الحاضر مرتدة إلى عمق مصدر انطلاقها الماضوي بقوة محدثة خلخلة في آلية بناء الاحداث (في الزمن الحاضر) على وفق عملية التذكر لمدة زمنية أمدها أربع سنين (فجأة خطر بباله أنه قد عاد إلى نقطة للبدلية، أسند ظهره إلى لحد الجدران في السجن) محاولا الهروب من الحاضر المتأزم(، تمنى لو أنه مات غنياً) وهي اشارة دلالية إلى الراحة التي افتقدها عند خروجه من السجن/الندم على الماضي (ووفر عل نفسه والاخرين كل هذه المتاعب) لكن هذا لم يحدث، إذ إن التأرجح بين الحاضر والماضي قد بلغ ذروته مما نتج عنه تكسير رتابة وتقاطع زمنين منفصلين ومتفارقين على صعيد الزمن السردي المقاس، ومتداخلين ومترابطين على صعيد تقاطع الاحداث وربطها، حيث تتعمد شخصية الراوي (شارلوت) إلى تفعيل آلية

الاستذكار والاسترجاع باعلا طاقاتها ؛لفعل الحدث الذي تم وقضى في زمن قد سبق، وما هي الا محاولة للهروب من الواقع غير المألوف(رفض ان يصدق الأوهام، سمع صوتاً يناديه : بيدو،بيدو، نظر حواليه بحدة، لكنه لم يجد شخصاً، تكرر الصوت : انك بيدو، اليس كذلك ؟)إلى واقع يتم استذكاره ومحاولة الركونإليه والاطمئنان به.

يورد الراوي مشهداً تتقاطع وتتداخل فيه سلسلة الاحداث بقوله:" قال شارلوت انك حاولت مرة التراجع عن اتفاقك وسحب عرضك،فقال كاروس مندهشاً : مرة واحدة، نعم مرة واحدة لأنه لم تتح لي فرصة اخرى قبل ان يقتادوه إلى خارج السجن . ترقرقت الدموع في عينيه وهو يتوسل إليها قائلاً: أنستي، صدقيني، حدث ذلك في اثناء الليل . فأجابت: نعم كنت اعرف انهم اعدموه ليلاً لأنني استيقظت في تلك الليلة متألمة. وفي أي ساعة من الليل استيقظتِ؟ بعد منتصف الليل مباشرة، فقال: كان هذا هو الوقت تماماً، وقالت: يا له من نذل، انها لمنتهى النذالة ان يكذب في هذا الامر، انكِ لا تعرفين شارلوت هذا جيداً يا انستي، لا تعرفينه كما كنا نعرفه في السجن آنستي، اعرف انني لا استحق حتى ازدراءكِ، لقد اشتريت حياتي بحياة اخيك ولكنني على الأقل لم اغش لإنقاذ حياتي كما فعل،.....ماذا تقصد ؟ تذكر المحافظ وهو يروي قصة اشتراكهم في القرعة وقال : آنستي، اشتركنا جميعاً في سحب القرعة حسب ترتيب حروف الهجاء ولكننا بدلأنا بالياء بدلاً من الالف نزولاً عند رغبة هذا الرجل،.... شارلوت : في النهلية بقيت هناك قصاصتان لي وله وكلنت لأحدى هاتين القصاصتين مؤشرة بعلامة الموت، فجأة حدث تيار هوائي في السجن ويبدو انه تمكن من رؤية الورقة المؤشرة لأن الورقتين طارتا في الهواء قليلاً بفعل التيار، وكان المفروض أن يأتي دور شارلوت في السحب بعد دوري ولكنه خالف الدور ليسحب الورقة غير المؤشرة .....لم تقتنع الفتاة كثيراً بكلامه وأشارت إلى نقطة الضعف الواضحة في روايته وقالت : ولكنك كنت تستطيع ان تطلب اعادة اجراء القرعة.....فأجابها كاروس قائلا : آنستي، ظننت حينذاك أنها مجرد غلطه بريئة وعندما يكون الثمن حياة انسان، ليس من السهل ان يعاقب المرء اخاه بسبب ارتكاب غلطه بريئة..... ولكنك رضيت ان تشتري حياتك بحياة انسان آخر.....كان يعلم انه يمثل دور شخص لا يتصف بالكمال، لما تتراكم التناقضات بعد إلى الحد الكافي....، كان عليه ان يفاجأ الجمهور بتمثيل رومانسي فأخذ يتوسل مرة أخرى، انستي هناك أشياء كثيره تجهلينها، لقد شوه هذا الرجل كل الحقائق، كان اخوك مريضاً جداً.....اعرف .....تنفس بارتياح وتأكد لنه لن يخطئ دوره هذا فازداد تهوراً وقال: آه لو تعرفين كم كان يحبك وكم كان قلقاً بشأن ما سيحدث لك عندما يموت، كان يريني صورتك باستمرار.. ولكن لم تكن لديه لية صورة؟؟؟ فقال وهو يحاول التخفيف من وقع كلامه :

استغرب مما تقولين ....واضطر إلى التراجع قليلاً ولكنه كان واثقاً بنفسه فاستعاد رباطة جأشه وقال: كانت لديه صورة اعتاد ان يريني إياها باستمرار، كانت صورة منظر عام لاحد الشوارع انتزعها من أحدى الجرائد، فتاة جميله في الزحام، استطيع ان اخمن انها لم تكن صورتك ولكنها كانت تشبهك ولذلك احتفظ بها وكان يتظاهر ... تعرفين ان الناس يتصرفون في السجن بطريقه غريبه يا آنستي، فعندما سألني اخوكِ ان ابيعه قصاصة الورق المؤشرة ... فقاطعته قائلة : آوه كلا، كلا، انك غير جدير بالتصديق، سألت .. انك تكذب، لم يكن الامر كذلك. فقال متألماً: لقد ملأك بالأكاذيب يا آنستي، أنا مذنب حقاً ولكن هل كنت اتجرأ وأعود إلى هنا لو كنت مذنبا بمثل ما يدعي هو. .....لم يخبرني شارلوت بهذه الأشياء، بل اخبرني الرجل للذي جلب لنا الوصية وبقية الأوراق،كان محافظ بورج [٢٤] إن التناوب في عرض الزمن على لسان الشخصيات الممسرحة للأحداث وهي(تيريز شقيقة جانفييه، /وكاروس الممثل المتقمص المخادع،/ وشارولت الخادم ومالك البيت والارض الزراعية الاصلي) إذ ان محاولة اقناع كل شخصية من هذه الشخصيات للأخرى في سبيل كسب الموقف الحالي يحتم عليها الرجوع إلى الماضي ثم الحاضر المعيش لان خرق الزمن يسهل توظيف الاحداث والوقائع على وفق رؤية الراوي ؛ فتسلط هنا كل الاضواء على الحدث بعيداً عن الزمن الذي حصل فيه لأن الراوي يسلك هذا الطريق في السرد محاولاً الافلات من سلطة الزمن ورتابته الضاغطة، فشخصية (كاروس / الممثل)هنا هي المحرك الرئيس المتسلط والمهيمن على رتابة الزمن وتهشيمه وإدارة دفته على وفق تخطيطه، لنرى بدلاً من الحدث الواحد احداث عدة في سبيل الوقوف على الحاضر من الاحداث واثباته والركون إليه إذ إن فعل الذاكرة غير المنضبط بقصد ؛ أدى إلى خلخلة ايقاع بناء الاحداث وبالتالي خلخلة ايقاع الشخصية والتركيز على كيفية وقوع الاحداث لا تواليها .

المحور الثالث: البناء الدائري للحدث

مفاد ومؤداه : بداية احداث العمل الفني من نقطةٍ معينةٍ، ثُم تُقفل عائدةً بعد سلسلةٍ من التتابع إلى حيث بدأت، فيتجه المؤلف فيه بقصد وعزيمة ؛ لتكون أحداث قصته ذات بداية من النهاية، أو أن تبدأ احداث الحكاية من مكان وزمان معينين مع ما يشتمل عليه الظرف الحكائي من جزئيات وحيثيات بشكل شامل، ثُم لتعرج راجعة عند بلوغ ذروتها إلى ذات المكان أو الجزء الذي غدا مثابة للانطلاق الاول قبل مدة [٢٥]، مما ينتج عنه خلخلة الزمن وفقدانه لسلطة التعاقب والتسلسل والترتيب المتوقع انصياعاً لحالة التذبذبِ الاحداثي التي ارادها الراوي لمرويه، مما يضفي على العمل الفني هالةً جماليةً مثيرةً، مبتعداً عن التأثير على صلب جوهره

(العمل الفني)،من حيث البناءِ والماهيةِ، إنما من حيثِ الصياغةِ والصقلِ الفني والترتيبِ [٢٦]، مما يوجب ويحتم على المتلقي أن يعيد تصوراته ويقوم بلملمة هذا الشتات وإعادة انتاحه ذهنياً وفق المنطق المقبول ليصبح النص بعدها سائغاً ممكن تقبله وتفكيك شفراته الجمالية نقدياً، ومنها قول الراوي: "عدالة ؟ وما للذي يتنافى والعدالة عندما تتركوني افعل ما أشاء، كلكم يريد أن يكون ثرياً لو أُتيحت له الفرصة ولكن ليست لديكم الجرأة، لقد رأيت فرصتي سنحت فاغتنمتها، انها العدالة دون شك، فسوف اموت ثرياً وليمت غيظاً كل من يظن ان ذلك يتعارض والعدالة "[٢٧] إن الحدث في هذا المشهد الروائي يبدأ بتحقق العدالة التي لطالما كان الراوي يحلم (كلكم يريد ان يكون ثرياً لو اتيحت له الفرصة) بها ويطلبها بل إنه هنا اصبح لسان حال جميع اصحاب المنى الماديين، وهو يرجو أن يراها ولو على ورقة بيضاء (فسوف اموت ثرياً)إذ إن الراوي لن يرى الذي حصل عليه في السجن إنما هو عربون لحياته التي قدمها لمن خلفه من الاهل، وبعد تطور المشهد وتناميه، يعود والنقطة التي بدأ وثار منها(وليمت غيظاً كل من يظن ان ذلك يتعارض والعدالة) فثمة نشوة قد شعر بها الراوي وعاشها بعد أن حقق ما كان يحلم به قبل موته .

ومن الامثلة الاخرى لهذا النوع من ابنية الحدث قول الراوي " مد يده إلى جيب كاروس فلمس فيه كعب مسدس، لم يستغرب، فقد عاد الناس مرة أخرى إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم، وكان أمراً طبيعياً أن يحمل الناس أسلحة نارية في جيبوهم مثلما كان طبيعياً ان يحمل الناس سيوفاً قبل ثلاثمائة سنه، ولكنه قال لنفسه من الأفضل ان يكون المسدس في جيبي، كان مسدساً صغيراً من الطراز القديم، ادار المخزن بأصبعه فوجد انه يحتوي عل خمس طلقات، اما مكان الطلقة السادسة فكان فارغاً، قرب فوهة المسدس من انفه واستطاع ان يشم رائحة البارود التي تنبعث كالمعتاد بعد اطلاق الرصاص، شعر بحركة على الفراش وكأن فأراً يركض بين كيسي الدقيق، استدار فرأى ذراع الممثل وسمعه يدمدم ببضع كلمات في نومه ولكنه لم يستطع سماعها او تمييزها كان يمثل حتى في نومه.....وضع شارلوت المسدس في جيبه وسحب رزمة صغيرة من الأوراق من جيب كاروس كانت ملفوفة بشريط مطاطي، كان الظلام دامساً لا يسمح بقراءة الأوراق او فحصها، فتح الباب بهدوء ودلف إلى خارج الغرفة، ترك الباب مفتوحاً لئلا يحدث ضوضاء واشعل النور واخذ يتفحص لقيته . كان واضحاً من اول نظرة انها لم تكن أوراق كاروس الخاصة، كانت بينهما قائمة صادره في ٣٠ أذار ١٩٣٩ لشخص يدعى توبار لشراء مجموعة من السكاكين، دهش كيف يحتفظ انسان بوصل طوال هذه الفترة، لا بد ان يكون انساناً منتظماً ودقيقاً، فحص بقية الأوراق وتأكد ان توبار هذا فعلاً انسان دقيق وكانت هويته التي وجدها بين أوراقه تحمل صورته الشخصية، كان يبدو رجلاً

مسالماً تبدو عليه ملامح الخوف من الموت كأن مصيدة تنتظره في كل مكان، كان من الطراز الذي يسلك مسالك عديده مختلفة ويفضل السير في رحلات طويلة حتى يتجنب خطراً ما، صادف شارلوت العشرات من أمثاله أثناء عمله في المحاكم، وسأل نفسه كيف وصلت أوراق هذا الرجل إلى يد كاروس وتذكر المخزن الفارغ في مسدس الممثل، كانت الأوراق والمستندات في تلك الأيام اكثر أهمية من المال و لقد مثّل كاروس دور شافيل حتى يضمن لنفسه المبيت ولو ليلة ولحدة، ولكن هل كان يأمل ان ينجو بنفسه من خلال هذه الهوية ؟ الإجابة هي ان خمس سنوات مدة طويله ومن شأنها ان تحدث تغييرات كبيره، ففي نهاية الحرب اصبحت صورنا كلها قديمة، لقد حمل الرجل المسالم سلاحاً حتى يقتل به؛ وأما الشجاع فقد خانته شجاعته، عاد إلى الغرفة وأعاد رزمة الأوراق والمسدس إلى جيب الممثل"[٢٨] تبدأ احداث هذا المشهدعندما مد شارلوت يده إلى جيب كاروس (الممثل)الذي غط في نوم عميق، ليخرج من جيبه المسدس ورزمة من الاوراق مع هوية لشخص مجهول،....يستمر شارلوت في تقليبه للأوراق والمستندات وتفحصها بعد ان خرج من غرفة النوم واشعل النور، محاولاً التعرف من خلالها بشكل اوضح ودقيق على تفاصيل وادلة تجعله يتوقف عند علامة فارقة لهذا الممثل(???المسالم ؟؟؟؟؟) وما يكتنفه من غموض وملابسات يجهلها شارلوت، إذ تشير الاوراق والمستندات والهوية التي تعود لشخص اسمه (توبار) ووصل شراء إلى تاريخ مثير من الاحداث عمره أكثر من خمس سنين، ثم يجول خيال شارلوت بعيداً مستعرضاً جرأة الممثل وشجاعته، وما يتحلا به من رباطة جأش، بينما هو خائف ومتبلد في مكانه وهو من يمتلك الادلة التي تجعله اقرب للحصول على ما يريد من تيريز شقيقة جانفييه....إن هذه الدقائق التي استعرض فيها شارلوت الاوراق والمستندات تعد تاريخاً طويلاً من الاحداث والوقائع التي عاشها الممثل، إذ إن هذا الانثيال من الافكار العارمة للناتج من تقليب تلك الاوراق له ارتباط بأشخاص واماكن ومواقف أهم واخطر وفوق ما كان يظن شارلوت والتي توصل إليها نتيجة عمله كمحام في المحاكم ليعرف كيف يتعامل مع هذا الشخص المسلح وربما (القاتل)للذي يمتلك من الخبرة والمكر وللدهاء ما مكنتاه من المبيت في بيت (شارلوت سابقاً/بيت تيريز الآن)،...تعود نهاية هذا المشهد الروائي مجدداً إلى حيث بدأت مع اعادة شارلوت المسدس وجميع الاوراق إلى جيب (كاروس)،(عاد إلى الغرفة وأعاد رزمة الأوراق والمسدس إلى جيب الممثل)،إذ يعمل هذا الحدث الاخير(فعل اعادة الاوراق) على تكسير عمودية الزمن المتوقع وجعله معكوساً؛ لتداخل مستويات السرد الروائي على وفق زمني الماضي والحاضر .

ونجد مثالاً آخر لبناء الحدث الدائري عند حديث الراوي عن نزلاء السجن بقوله عنهم :" كانوا يسلون انفسهم خلال ساعات النهار بألعاب طفولية وعندما يحل الظلام ينامون بوداعة " [٢٩] فمجمل الاحداث التي تمر عليهم وبكل تفاصيلها المؤلمة تسكن وتهدأ عندما يحين وقت النوم، ثم تبدأ دوامة الاحداث بالتوالي عليهم (سلباً وايجاباً)مع نهاية مدة النوم (صباحاً) والتي تمتد على مسافة سعة زمن السرد الممتد(ص٣٩ إلى ص٦٩)إذ تعود الاحداث المستغرقة لمساحة المتن الروائي إلى حيث بدأت " كان الظلام قد لفهم بردائه منذ فتره وكانت بقايا ضياء النهار تتدحرج على سقف الزنزانة، ذهب الرجال إلى النوم تلقائياً بعد ان هزوا وسائدهم، ونفضوها ثم احتضنوها كما يفعل الأطفال "[٣٠] إذ يعمل الراوي على اظهار رتابة الفضاء الروائي داخل دياجير وغياهب السجن الذي تتحرك فيه الاحداث بصيغة اصبحت مألوفة (قصراً) ونفسية الشخصيات، إذ تنتهي الاحداث مع الاستسلام للنوم مبكراً من حيث بدأت احداث هذا المشهد، وفق الزمن والموقف، ومن الظاهر بشكل جليٍ أن الحدث السردي قد حقق تداخل الزمنين الماضي والحاضر ليعرض الزمن المعكوس فيعرض الراوي مقولته السردية عن الشخصيات وتوترها، والتعبير عن حصارها النفسي باللجوء إلى النوم للخلاص أو الانشغال عن التفكير المستمر بنهاية الاحداث المجهولة .

المحور الرابع: البناء المتضمن للأحداث

إن هذا النسق السردي من البناء يتشكل بوساطة الاسلوب الحكائي الذي قوامه قيام الراوي على استحضار قصة غريبة على بناء المتن الاصلي بعد ان يوقفه إلى حين انتهاء القصة الاخيرة ومن ثم الرجوع إلى (طريق السرد الاول)لإكمال مسار عرض متن (القصة الام) لتدخل القصة الاخيرة صلب ورحم الاولى[٣١]،فتكون عندها، حضناً دافئاً وحصناً منيعاً لها، وهذه المراوغة الفنية لا يمكن لكل احد من الادباء القيام بها [٣٢]،إلا صاحب المراس والحذق الفني المرهف ،لما لها من وظائف يمكن ان تؤديها، عدها مثلاً : وسيلة تقدم بوساطتها معلومات (عرض)خارج خط مسيرة الحدث الراهن، أو قيامها بمهمة تشتيت وصرف الانظار عن مسار خط الحدث المركزي للقيام بتسريبه بصيغة غير مباشرة متظاهراً بالانشغال في سرد حدث آخر [٣٣]، فضلاً عن مهمة الرصد الموضوعي الذي يكون استدراكاً لشيء كاد أن يمضي اوانه [٣٤]، فتغدو(القصة المُضمَنة) ذاتية المنشأ من جهة نابعة ومتماشية مع عموم متن العمل الاول، أو يؤتى بها من مكانها الاصلي(نص آخر مُنتَج) للإدلاء بشهادتها التاريخية هنا [٣٥]، وتدعيم وتقوية وتأييد ما يعرضه الراوي من افكار وموضوعات ورؤى، فتكون القصة المُضمَنة متماهية مع النص الذي تُصاحبه، اسلوباً، وأحداثاً، ومكاناً، وزماناً، وشخصيات، في

سـبيل الاعلاء من مكانة النص (عامة) وتحميله قيم دلالية وجمالية متفردة[٣٦]، والشـاهد على ذلك قول الراوي : "ولكنه في الواقع لم يكن يفكر في شـيء اخر سـوى السـاعة وكيفية ايجاد الفرصـة المناسـبة لتصـحيح الوقت الذي تشـير إليه ، اذ كانت سـاعته متأخرة عن سـاعة بيير خمس سـاعات، ولكنه لم يتمكن من العثور على الفرصـة المناسـبة حتى عندما كان يذهب للتغوط، فقد كانت دورة المياه صـفاً من الجرادل الموضـوعة في سـاحة السـجن ولتسـهيل مهمة الحراس لم يكن يسـمح لاحد من السـجناء بالذهاب إلى الجرادل وحيداً، بل كان عليهم الذهاب في مجموعات من سـتة اشـخاص على الاقل، ومن ناحية اخرى لم يكن في وسـع المحافظ ان ينتظر حتى حلول الظلام، اذ لم يكن يسـمح لهم بإشـعال النور في الزنزانات ومن غير ضـوء كاف لم يكن بالإمكان رؤية عقارب الساعة، طوال ذلك اليوم بقي المحافظ محتفظاً بسجل ذهني لتقديم الوقت متحيناً الفرصـة التي يتمكن فيها من تصـحيح السـاعة ..... واخيراً واتته الفرصـة المناسـبة؛ في المسـاء عندما حدث شـجار بين السـجناء في لعبة ورق بدائية كانوا قد طوروها وصـنعوا الأوراق الخاصـة بها بأنفسـهم وقد اعتاد بعض الرجال قضـاء الوقت في ممارسـة هده اللعبة، اتجهت الأنظار إلى اللاعبين فاغتنم المحافظ الفرصـــة واخرج السـاعة من جبيه وقدم عقاربها بسـرعة، سـأله المحامي: كم السـاعة الان؟ أُحرِج المحافظ كما لو كان في قفص المتهمين بمحكمة يواجه سؤالاً لم يتوقعه، كان المحامي ينظر إليه نظرة متعبة وتعيسة أصبحت إحدى سماته، ..... نظرة رجل لم يحمل شيئاً من ماضيه ليواجه به حاضره المأساوي .... الخامسـة والدقيقة الخامسـة والعشـرون.. كنت اظنها أكثر من ذلك ..... فرد المحافظ محتداً :انها حسـب توقيتي، حقاً لقد كانت سـاعته وكان ذلك توقيته، فمنذ تلك اللحظة لم يخامره ادنى شـك في احتمال وجود خطأ في هذا التوقيت لأنه ببسـاطة هو الذي اخترعه " [٣٧] إن اللافت والمثير الذي يتكشـف اثناء فحص الكم المتعاقب مِن الأحداثِ المتتاليةِ، هو قيام الراوي بتأطير مجمل الاحداث المتناسـلة بالحدث المركزي والقصـة الام في هذا الشـاهد، والتي تتمركز على موضوعة ضبط المحافظ لوقت ساعته، ثم ينتج عنه تشظٍ لمجموعة احداث فرعية بسبب خوفه من اكتشاف الاخرين لحقيقة وقت الساعة الذي اوهمهم بأنه متطابق مع الوقت خارج الزنزانة، إذ إن تحيَن المحافظ للوقت الذي لا يراه فيه احد، وخوفه الشـديد من حراس الزنزانة ادى إلى ولادة مجموعة من القصص، اولها محاولة ضبط وقت الساعة داخل دورات المياه(كانت دورة المياه صـفاً من الجرادل الموضـوعة في سـاحة السـجن ولتسـهيل مهمة الحراس لم يكن يسـمح لاحد من السجناء بالذهاب إلى الجرادل وحيداً) فهو مراقب حتى في هذا المكان فضلاً عن عدم السماح لهم بإشعال النور داخلها، ثم تأتي قصـة السجل الذهني الخاصـة بالمحافظ لحفظ الوقت ذلتياً(بقي المحافظ محتفظاً بسـجل ذهني لتقديم الوقت متحيناً الفرصـــة التي يتمكن فيها من

تصحيح الساعة) وبعدها نجد قصة الشجار بين النزلاء(في المساء عندما حدث شجار بين السجناء في لعبة ورق بدائية كانوا قد طوروها وصنعوا الأوراق الخاصة بها بأنفسهم وقد اعتاد بعض الرجال قضاء الوقت في ممارسة هده اللعبة، اتجهت الأنظار إلى اللاعبين فاغتنم المحافظ الفرصة واخرج الساعة من جبيه وقدم عقاربها بسرعة) لكن هذا لا يعني توقف حضانة القصص المتوالدة، فالمناقشة والحوار من شأنهما أن يأتيان ب (قصة/قصص) اخرى اضافية (سأله المحامي : كم الساعة الان ؟ أُحرِج المحافظ كما لو كان في قفص المتهمين بمحكمة يواجه سؤالاً لم يتوقعه، كان المحامي ينظر إليه نظره متعبة وتعيسة أصبحت إحدى سماته، ..... نظرة رجل لم يحمل شيئاً من ماضيه ليواجه به حاضره المأساوي .... الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرون.. كنت أظنها اكثر من ذلك ..... فرد المحافظ محتداً: انها حسب توقيتي) إن هذه المناقشة تسهم بظهور حكاية للبرهة لأجل المناقشة او لتدل على الاعتراض على سابقاتها من القصص.

ومنها قول الراوي الشاهد والمشارك في الحدث:" قال له كاروس: خير لك ان تأخذ فراشك وترحل؟، لم تعد مرغوباً هنا بعد الان، البيت يعود للآنسة مانجو؟؟؟ دعها تتكلم هي قال شارلوت ...، اجابه كاروس يا لك من مخادع ماكر ... لقد جاءني يوم أمس واخبرني ان البيت لا يزال ملكي، وقال انه صدر مرسوم او ما شابه ذلك ينص على الغاء المعاملات كافة التي تمت لبان فترة الاحتلال، وعدها غيرقانونية،كان يظن انني سأستغل هذه النقطة لمصلحتي فقال شارلوت: عندما كنت صبيا في هذا البيت كنت العب لعبة معينة مع صديقي الساكن في الجانب الاخر من الوادي. قال كاروس: عمَ تتكلم هذه المرة بحق السماء؟ اصبر قليلاً، ستجدها قصة ممتعة، كنت امسك بمصباح يدوي او بشمعة وإذا كان اليوم مشمساً كنت امسك بمرآة وارسل رسائل كهذه بالإشارات عبر هذا الباب ... واحياناً لم تكن الرسالة تزيد عن عبارة (انا لا اعمل شيئاً) قال كاروس وقد ظهرت عليه علامات القلق: وماذا تفعل الان؟ هذه الرسالة كانت تعني النجدة، الهنود الحمر هنا .... فقالت الفتاة أوه لا أفهم شيئاً من هذا الكلام قال شارلوت : لا يزال ذلك الصديق ساكناً هناك على الرغم من انه لم يعد صديقي الان، كان يخرج للعناية بأبقاره في مثل هذا الوقت، وسيرى الاشارات تشتعل وتنطفئ وسيعلم ان شافيل قد عاد وسيقرأ الرسالة التي تقول " الهنود الحمر هنا"، ليس هناك شخص اخر يستطيع قراءة هذه الرسالة قالت تيريز تقصد انه اذا جاء الرجل فذلك يثبت انك شافيل حقاً ؟؟؟ نعم ... اخذ شافيل (شارلوت) المصباح اليدوي مرةً اخرى ووقف عند عتبة الباب وقال: سيرى هذه الرسللة حتماً، فهو الان لِما في الزريبة او في الحقل "[٣٨] ان اللقاء بين هذه الشخصيات الثلاث(تيريز شقيقة جانفييه وشارلوت-شافيل الحقيقي- وكاروس الممثل المجرم)

يعد بؤرة الحدث الأم، ثم تتناسل عنه عقب الحوار الساخن مجموعة (احداث/قصص)،عند محاولة كل شخصية ان تثبت صحة ادعائها بما تسنده من ادلة وحجج وبراهين منطقية له صلة قطعية بالواقع ؛ أو يكون محض وهم القصد منه التحايل والايقاع بالآخرين في سبيل النجاة والانتصار، أو في سبيل الاعتراض على ما سبق فتحدث زيادة في المتون الجديدة على المتن الاصلي / الاول .....تبدأ عملية التوالد القصصي عند طلب كاروس مغادرة شارلوت البيت (قال له كاروس : خير لك ان تأخذ فراشك وترحل ؟، لم تعد مرغوباً هنا بعد الان، البيت يعود للآنسة مانجو) ثم بعدها يورد الممثل حجة اخرى محاولا اقناع تيريز انه الاصدق(لقد جاءني يوم امس واخبرني ان البيت لا يزال ملكي، وقال انه صدر مرسوم او ما شابه ذلك ينص على الغاء المعاملات كافة التي تمت ابان فترة الاحتلال، وعدها غير قانونية) يحتدم النقاش مفضياً إلى ظهور قصة من بطن الاخرى،إذ يقول شارلوت (عندما كنت صبي في هذا البيت كنت العب لعبة معينة مع صديقي الساكن في الجانب الاخر من الوادي .قال كاروس: عمَ تتكلم هذه المرة بحق السماء ؟ اصبر قليلاً، ستجدها قصة ممتعة، كنت امسك بمصباح يدوي او بشمعة وإذا كان اليوم مشمساً كنت امسك بمرآة وارسل رسائل كهذه بالإشارات عبر هذا الباب ... واحياناً لم تكن الرسالة تزيد عن عبارة (انا لا اعمل شيئاً) ثم يذكر قصة صديقه (كان يخرج للعناية بأبقاره في مثل هذا الوقت، وسيرى الاشارات تشتعل وتنطفئ وسيعلم ان شافيل قد عاد وسيقرأ الرسالة التي تقول " الهنود الحمر هنا"، ليس هناك شخص اخر يستطيع قراءة هذه الرسالة قالت تيريز تقصد انه اذا جاء الرجل فذلك يثبت انك شافيل حقاً؟؟؟ نعم) نجد ان نشوء وتوالد قصص كثيرة في اطار القصة الكبيرة(الام)او ادخال قصة في قصة اخرى بوساطة خرق وهتك قوانين السرد لإيقاف ذلك الحدث الكبير(الام) ومحاولة صياغته بحلة جديدة ليكون الاهتمام منصباً على الحكايات المضمنة المتعالقة والمتعنقدة ببعضها البعض أو المتناسلة عن بعضها؛ ذلك إن التضمين يتيح للراوي حرية الحركة في سبيل اتمام عمليات الترميم البنائية، والدلالية، والاستدراك لما كان قد فاته،ووضع الاسئلة والحلول المناسبة لها، فضلاً عن تصحيح بعض المسارات المتعرجة التي وقع فيها خلال عمليات التطواف الفني وخلق عمله البكر، لتتم عمليات هندسة البيت الفني معمارياً، والذي اصبح ملاذاً آمناً لبنات افكار الراوي، محاولا استصحاب المروي(له/لهم) والنأي(به/بهم) عن مكامن الضجر والتبرم ووضع كل ما من شأنه زيادة مواثيق القرب ورحلبة الاتصال والمودة والانشداد إلى مرويه، محاولاً (الراوي)الابتعاد عن الرتلبة والنمطية في تكنكة مرويه بيد المهندس العارف بمواطن زيادة وتقليل الاشياء التي يمقتها المتلقي ويمجها ولا يستسيغها ؛فتنفره وتطرده من ساحته النصية؛ لو انه خضع لنوع رتابة الاحداث المنطقية التقليدية في كل مسافات مرويه الفني أو في حين

التشدد بالتزامه بنمط واحد وطريقة بناء خاصة متمسكاً بما يظنه مناسباً، غير مكترث بأذواق التلقين والابتعاد عن آلية التنوع والتعدد والتغيير والالتفاف أو التجديد بالوسائل، والاساليب التي تسم العمل بسمة الحيوية والديمومة الابديتين .

بعد المرور والسير على ارض الرجل العاشر، وتعقب وتفحص ومعاينة، مواد البناء التي قام غريم غرين بالاتكاء عليها في لقلمة صرحه الفني تبين لنه اتبع وسائل التنويع والتشكيل والخروج عن الاطر التقليدية في تبنين الزوايا المثيرة، إذ إن مبدأه(الراوي) في بنائه المتتابع والمتعاقب للاحداث ومعالجتها سردياً؛ إنما كان يتقصد تصوير الآثار السلبية والايجابية التي تقع على الشخصيات، وكيف إنها تؤثر عليها بشكل حاد ومؤلم، أو مفرح مثير للاستغراب، فمن حيث الهرب والنجاة ومن ثم الانتقال من مكان إلى آخر حيث تتابع صيغ السرد ومناخاته ونتائجه،.... بينما نجده في نمط البناء المتداخل الذي تتكسر فيه تراتبية الزمن المتسلسل لتتحول إلى نسق متفاوت مضطرب متموج ما بين الحاضر والماضي والمستقبل أو العكس من اجل ان يكون ايقاع الشخصية اكثر تفاعلا مع الاحداث مما يفضي ويتيح للواقع والاحداث أن يكونا ارضاً خصبة منصاعة ورغبة الراوي ولهفته في اعادة تأثيث عمله، والابتعاد بالشخصية عن نسق التتابع عن طريق خلق ايقاع اقل انتظاماً في سبيل لفت انتباه المروي له إلى حركتها(الشخصية) فتجيء ايقاعاتها متغيرة ومختلفة ومتداخلة على وفق تغير الاحداث وسردها بشكل متموج متأرجح متقطع، مثيراً للتعجب والتعقب، متتبعاً الكيفيه التي نتجت عنها الاحداث، مما يتطلب من المتلقي ان يكون اكثر انتباهاً في لثناء تتبعه لمجمل حركات السرد.....، في حين تمركز البناء الدائري للاحداث إلى مغايرة التوقعات التي تنتج عند السير خلف خُطى الراوي في مرويه، إذ إن المتلقي وبعد أن يحاول استخلاص النتيجة الختامية يصدم بعودة الحكاية إلى حيث بدأت، وكأنها اعادة ثانية لها وبشكل عكسي فتزيد قوى للذاكرة من فعلياتها في لعادة توقع الاحداث وفقاً للختام للذي هو اشبه بالبداية الجديدة، لما البناء المتضمن للاحداث فله فاعلية خلابة على استهواء رغبة المتلقي وشده بعمق إلى القصص المتوالدة، لان من اهم خصائص هذا النمسق البنائي اضفائه على الحدث الروائي قدراً مهماً من التنوع والمرونة التعبيرية، على النحو للذي من شأنه زيادة الطاقة للتأثيرية، والاثارة السردية على المساحات التي يبسط سيطرته عليها، فينهض العمل في احداثه المركزية مستغلاً عالم التخييل ومناخاته وسياقاته المنفتحة.

الهوامش والمصادر:

(١) لسان العرب لابن منظور، ج١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط٣ ، ١٩٩٩، :٥١١-٥١٢
(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٨ ، ٢٠٠٥ ، :١٢٤٣
(٣) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٢، :٣٧.
(٤) البنية السردية في الرواية السعودية، نورة ناصر المري، المدينة المنوره، السعودية،١٤:٢٠١٥.
(٥) ينظر: النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشروق – مصر، ط١، ١٩٩٨: ١٢٢.
(٦) ينظر: المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بو قرة، جدارا للكتاب العالمي، الاردن، ط١، ٢٠٠٩: ٩٤.
(٧) لسان العرب لابن منظور، ج٣:٧٣.
(٨) مقاييس اللغة لابن فارس، ج٢، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط٢، ٢٠٠٢، :٣٦.
(٩) تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، شريبط أحمد شريبط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، ١٩٩٨، :٢١.
(١٠) فن الرواية عند يوسف السباعي، نبيل راغب، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة ،١٩٩٨: ١١٠.
(١١) التقنية المسرحية، عبدالكريم جدري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٢، :٤٢.
(١٢) الرجل العاشر، غريم غرين، ترجمة: هادي الطائي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد،١٩٨٧، مقدمة المترجم: ٧
(١٣) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٢٨.
(١٤) ينظر: حركية الابداع، خالدة سعيد، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢: ٢٤٢، وينظر: البنيوية وعلم الاشارة، ترنس هوكز، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة: د. ناصر حلاوي، ط١، بغداد، ١٩٨٦: ٦٠، وينظر: معجم المصطلحات الادبية، سعيد علوش: ٧٥.
(١٥) ينظر: طرائق تحليل السرد الادبي: ٥٦، وينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق :١٢. وينظر: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، محمد رشيد ثابت: ٣٨.
(١٦) ينظر: النص السردي نحو سيميائيات للايديولوجيا، سعيد بنكراد: ٨٨.
(١٧) الرجل العاشر، غريم غرين، ترجمة: هادي الطائي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد،١٩٨٧ :٣٩
(١٨) م ن :١١٩
(١٩) م ن: ٥١ – ٥٢
(٢٠) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة)، عبدالله ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤: ٢٨ .
(٢١) ينظر: القراءة والتجربة، حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب، سعيد يقطين، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥.: ٢٦١.
(٢٢) النص المفتوح، دراسة في شعر عبدالعزيز المقالح: مجموعة مؤلفين، دار الآداب للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ٢٤٤.
(٢٣) الرجل العاشر :٨٣ – ٨٥
(٢٤) ١٦٧ – ١٧٠
(٢٥) ينظر: البنية والدلالة في مجموعة حيدر حيدر القصصية (الوعول)، عبد الفتاح ابراهيم، الدار التونسية

للنشر، تونس، ١٩٨٦، ١٢٥.

(٢٦) ينظر: الالسنية والنقد الادبي في النظرية والممارسة، موريس ابو ناضر، دار النهار، بيروت ١٩٧٩.: ٨٥.

(٢٧) الرجل العاشر: ٦٣

(٢٨) م ن :١٥٣ – ١٥٤

(٢٩) م ن :٣٩

(٣٠) م ن: ٦٩

(٣١) ينظر: مقولات السرد الادبي، تودوروف، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، مجلة آفاق، ع (٨–٩)، لسنة ١٩٨٨،٤٣، وينظر : البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، محمد رشيد ثابت، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٧ :٣٨.

(٣٢) ينظر: نظرية الادب، رينيه ويليك، اوستن وارين، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والادب، مطبعة خالد طرابيشي، ١٩٧٢.، ٢٨٩.

(٣٣) ينظر: م ن: ص. ن.

(٣٤) ينظر: قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، ترجمة: صباح الجهيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق،١٩٧٧. ٢٦٤.

(٣٥) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (بناء السرد)، شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤. ١٨.

(٣٦) ينظر: السردية في النقد الروائي العراقي احمد الدره، درار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩: ١١٦.

(٣٧) الرجل العاشر: ٤٤ – ٤٥

(٣٨) م ن: ١٨٦–١٨٨